أحمد الشقيري ، من القمة الى الهزيمة ، (دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١) .

الكتاب يؤرخ لجانب من التاريخ الفلسطيني والعربي المعاصر بقلم رجل شارك ، مهما كان حجم المشاركة والاراء المختلفة فيها ، في صنع احداث هذا الجانب من التاريخ . ومع ادراكنا ان الكتاب ، لانه في صيغه مذكرات ، جاء ذاتي النظرة يتناول الاحداث من حيث علاقتها بالذات التي تدونها ، فأن قيمته تنبع من ان احمد الشقيري في كتابه هذا دون سجلا دقيقا [هل نقول يوميا ؟] للاحداث التي سبقت بقليل ورافقت نشوء منظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف العربي بها خلال الفترة من اواخر عام ١٩٦٣ الى اواسط عام ١٩٦٥ . المذكرات تتحدث اذن عن بعث الكيان الفلسطيني ممثلا بـ م.ت.ف ، غير ان السؤال الذي يلح على قارىء المذكرات هو من بنى هذا الكيان ؟ فاذا كانت المنظمة قد « ولدت على فراش مؤتمر القمة العربية » فالى من هي تنتسب ؟ من ابواها ؟

ان مؤتمر القمة العربية لم يخول الشقيري اطلاقا انشاء كيان فلسطيني ، فقد قرر المؤتمر ان « يستمر السيد احمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول الى اقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » (ص ٥٠) ، والشقيري نفسه يقول « كانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ومن ثم تقديم تقرير الى مؤتمر القمة الثاني في شهر اغسطس ١٩٦٤ » (ص ٦١) ومؤتمر القمة الثاني لم ينعقد الا وكانت م.ت.ف. قد ظهرت الى الوجود في أيار (مايو) ١٩٦٤ . اما جامعة الدول العربية فهي لم تأخذ مرة مسألة الكيان الفلسطيني مأخذ الجد . وأول مرة ورد هذا الموضوع رسميا في الجامعة كان في اذار (مارس) ١٩٥٩ عندما اتخذ مجلسها قرارا « باعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا » . اما كيفية ابرّاز هذا الكيان ، اختصاصاته ، محتواه ، شكله ، علاقاته فلم تبحث مرة . واذا كانت هذه هي المواقف الجماعية للدول العربية فأن موقف كل منها منفردة لم يختلف عما اسلفنا . فقراءة « المذكرات » تعطي انطباعا واحدا بأن ما من دولة عربية ، باستثناء واحدة كانت « متحمسة » لابراز الكيان الفلسطيني . والاستثناء الذي اشرنا اليه هو موقف مصر فقد « كانت ج.ع.م. راغبة في انشاء الكيان اليوم قبل الغد » . غير ان الشقيري وخلال الكتاب كله لا يشير الى سبب هذه الرغبة . حتى انه في اكثر من مكان يشككنا في هذه الرغبة : فبعد ان كلفه مؤتمر القمة الاول بالاتصال بالدول العربية والشعب الفلسطيني لتنظيم هذا الشعب « عدت الى منزلي وانا في حيرة من امري من موقف القاهرة من الكيان الفلسطيني ، فلم تلاق جولتي الطويلة المضنية في الوطن العربي اي صدى في صحفها واذاعاتها ولو حتى من ناحية اخبارية » (ص ٩٢) . وحتى قبل ذلك ، قبل ان يكلف من القمة العربية بهذه المهمة ، اي عندما اختارته الجامعة العربية ممثلا لفلسطين لديها (ايلول سبتمبر ١٩٦٣) والقى خطابا دعا فيه الى الكيان الفلسطيني « اهتمت الصحافة (بذلك الخطاب) خارج القاهرة اهتماما بالغا واهملته صحف القاهرة اهمالا ظاهرا » (ص ١٨) وكان تعليقه على ذلك « الاهمال » « سأمضي في الطريق (طريق انشاء الكيان) وليكن موقف القاهرة ما يكون ، فأن الزمن سيكشف كل شيء » (ص ١٩) .

مرة اخرى ، اذا كانت هذه هي مواقف الدول العربية من الكيان الفلسطيني فمن الذي بناه اذن؟ هل كان بعث الكيان حلما في بال الشقيري «استغل» وظيفته ممثلا لفلسطين في الجامعة العربية لتجسيده واقعا وكان قرار القمة العربية الآنف الذكر رخصته في ذلك ؟ الشقيري يقول ان « موضوع الكيان كان مثار اهتمام الرأي العام الفلسطيني والعربي لاربع سنوات مضت » (ص ٣٧) ، ولكن ما دور الشقيري نفسه في تحويل ذلك الاهتمام الى حقيقة مجسدة ؟ ان الصفحات الثلاثمائة التي يتألف منها الكتاب تشير بوضوح الى ان الشقيري راوده حلم الكيان الفلسطيني منذ وقت مبكر . وفي شهر تموز (يوليو) ١٩٦٢ حاول تجسيد هذا الحلم عندما عرض على لجنة خبراء منبثقة عن جامعة الدول العربية وكان وقتها ممثلا للمملكة العربية السعودية « مشروعا للكيان الفلسطيني يقوم على اساس الدعوة لمجلس وطني يمثل التجمعات الفلسطينية ، تنبثق عنه جبهة وطنية لقيادة الشعب الفلسطيني ، تكون لها اختصاصات عسكرية وسياسية وتنظيمية